قراءة في النظرية التوليدية التحويلية"

الباحث: الدكتور ياسر محمد البستنجي
مركز اللغات / جامعة مؤتة / الأردن
رقم الهاتف: 00962799516626
البريد الالكتروني: yasser_bu@yahoo.com

تاريخ الاستلام:2019/05/09 تاريخ القبول:2019/06/08

الملخص

هدف هذا البحث إلى بيان الأهمية التي اضطلعت بها النظرية التوليدية التحويلية في الدرس اللغوي؛ إذ كان لها دور مميّز في التحليل اللغوي للعبارات والجمل المختلفة. وعرض هذا البحث لنشأة النظرية التوليدية التحويلية على يد العالم الأمريكي ((تشومسكي))، وبيّن أهم المرتكزات التي استندت إليها هذه النظرية، وأهمها الجانب العقلاني، باعتبار اللغة ظاهرة عقلانية، فجعلت هذه النظرية المجال الأساسيّ للدراسة اللغوية هو وصف المعرفة اللغوية وليس السلوك اللغوي فقط. ثم تناول هذا البحث قضية الفطرة اللغوية، واكتساب اللغة؛ إذ يرى (تشومسكي) أن الإنسان يمتلك جهازا لغويا قادرا على إنتاج عدد هائل من الجمل، وهو قادر كذلك على تمييز السليم من غير السليم منها، وناقش البحث أيضا مفهوم الكفاية اللغوية والأداء اللغوي؛ إذ تبيّن أن الكفاية أمر ينطبع عليه الإنسان منذ نعومة أظفاره. ثم عرض البحث للقواعد التحويلية التي اعتمدها (تشومسكي) في تحليل الجمل، وتوقف البحث عند مفهومي: البنية السطحية، والبنية العميقة، إذ تبيّن أن لكل جملة جانبين: جانب عميق أصيل كامن في الدماغ، وآخر سطحي يظهر بصورة منطوقة في العالم الواقعي، وبيّن البحث أهم العناصر اللغوية التي تنقل الجملة من بنيتها الأصلية (العميقة)، إلى البنية الجديدة (السطحية)؛ لتصبح جملة تحويلية، وختم هذا البحث بأهم النتائج التي خلص إليها الباحث.

كلمات مفتاحية: توليد، تحويل، بنية عميقة، بنية سطحية.

Abstract

This study aimed to explain the importance of the generative-transformational theory in a linguistic study. This theory had a distinctive role in the linguistic analysis of different phrases and sentences. The study showed the beginning of Chomsky's generative-transformational theory as well as the most important basis on which the theory was built. Since this theory is seen as a mental phenomenon, the mental aspect is the prior one. The main aspect of the linguistic study is the description of the linguistic knowledge rather than the linguistic behavior. This study also discussed the concept of innateness and how it is related to language acquisition. Chomsky believes that a human being possesses a linguistic device which enables him/ her to produce a great number of sentences and to decide which of these sentences is grammatical or not. The study also discussed the linguistic competence and performance. It is found that competence is inherent. Moreover, this study shed lights on the transformational grammar which had been adopted by Chomsky in analyzing sentences. The study, on the other hand, discussed both deep structure and surface structure that each sentence has two aspects: a deep on in the brain and a surface one appearing in real pronunciation. The study showed the radical linguistic elements which move the sentence from its deep structure to a new surface structure in order to become a transformational sentence.

Finally, the researcher has come up with important results written at the end of this study.

1.1 مدخل إلى النظريّة التوليديّة التحويليّة

منذ سنة 1957م، أي منذ أن نشر ((تشومسكي)) كتابه (البنى النحوية) أو (البنى التركيبيّة) (Syntactic Structure)، أصبح زعيماً للمدرسة اللغويّة في الولايات المتحدة الأمريكيّة، فقد أقدم على نقد مدرسة (بلومفيلد) بخاصة، نقداً قويّاً انصبّ على أهم

الأسس التي تقوم عليها، وإن كان جلّ نقده ينصبُّ على الجوانب السلوكيّة في نظرية (بلومفيلد)، وفي آراء السلوكي المشهور سِكنز[1].

ومنذ صدور الكتاب توالت الكتب والمؤلفات والتحليلات التي أسهمت في تطوير النظريّة التحويليّة، حتى أصبحت أكثر المدارس اللغويّة أهمية وشهرة في العالم، وقد شهدت النظريّة التحويليّة منذ صدور الكتاب السابق كثيراً من التعديلات من (تشومسكي) نفسه، ومن علماء آخرين[2].

والمنطلق الأساسي الذي تبدأ منه النظريّة التحويليّة في الخروج على المدرسة التركيبيّة (السلوكيّة) يتمثل في مجال الدراسة التي تُعنى بالظاهرة اللغويّة؛ فقد انطلقت المدرسة التركيبيّة من دراسة اللغة ووصفها، وذلك انسجاماً مع النظرة التجريبيّة في العلوم[3]. أما النظريّة التحويليّة، فقد انطلقت في وصف اللغة ودراستها من الجانب العقلاتي، باعتبار اللغة ظاهرة عقلانيّة، فجعلت المجال الأساسي للدراسة اللغويّة هو وصف المعرفة اللغويّة وليس فقط السلوك اللغوي، ومن ثم كانت المدرسة التحويليّة أقرب إلى المنهج العقلاني الذي ساد التفكير العلمي في أوروبا في القرن الثامن عشر[4].

يصرّح (تشومسكي) بأنّه تأثّر بآراء المدرسة الفلسفيّة العقلانيّة التي سادت القرن السابع عشر، التي كان الفيلسوف (ديكارت) من أشهر أعلامها، ولذلك، فقد كانت آراؤه عن طبيعة اللغة عميقة للغاية، ومناقضة تماماً للسطحيّة التي تميّزت بها آراء أسلافه المباشرين[5].

2.1 الفطرة اللغوية واكتساب اللغة

إنّ النقطة الرئيسة في نظرية (تشومسكي) التي قادت تفكيره إلى ما يتبعها من أفكار هي الفطرة اللغويّة في ذهن الإنسان، متّخذاً إيّاها من المقابلة بين الإنسان وغيره من الحيوانات، فالإنسان غير السويّ - فضلاً عن الذكي القادر- يستطيع إنتاج الجمل والتعبير عمّا في نفسه، في حين أنّ أذكى الحيوانات وأكثرها تدرّباً وتقبلاً لما يعلّمها الإنسان، لا تستطيع ذلك.

ومما جعل (تشومسكي) يزداد تمسكاً بهذه الفكرة وتوكيداً لها في نظريته، ما رآهُ في تدرّج الطفل الصغير في الكلام، وفي انتقاله إلى تعلّم اللغة، فالطفل يبدأ في سنّ معينة (سنة أو سنتين) إنتاج الجمل، وما أنْ يصلَ إلى سنٍّ معينة (السابعة مثلاً)، حتى يكون قادراً على التعبير عمّا في نفسه بعددٍ كبير من الجمل التي لم يكن قد سمعها من قبل، وقادراً أيضاً - إلى حدٍّ معين- على إدراك السليم من الجمل التي يسمعها من غير السليم، ويأتي إلى المدرسة في هذه السن؛ ليتعلم كيف يكتب ويقرأ، وليس كيف يولّد جملاً[6].

من هنا نرى أن (تشومسكي) يختلف عن السلوكيين في نظرته لاكتساب اللغة، إذ إنّه يعطي العقل دوراً بارزاً في هذه العمليّة، في حين نجد المدرسة التركيبيّة تنظر إلى اللغة على أنها مجموعة من العادات السلوكيّة، التي ترتبط فيها أشكالٌ لغوية معينة باستجابة معيّنة، على أساس من علاقة المثير والاستجابة، وعلى ذلك فإنّ الطفل برأي التركيبين يتعرّض لمجموعة من العادات اللغويّة، حيث يتكرر سماعه لأشكال لغويّة مرتبطة بمواقف معينة، فيتركّز اكتساب اللغة عنده على التقليد الميكانيكي المباشر، أي أنّ ما يقوم به عبارة عن محاكاة وإعادة وتكرار لما سمعه من التعبيرات اللغويّة في المواقف التي اقترنت بها[7].

ونحن نذهب مع (تشومسكي) في رفض هذه الطريقة التي يكتسب بها الطفل اللغة، فالواقع العملي لا يؤيّد ذلك، إذ لو كان الأمر كما يقول التركيبيّون لتوقّعنا أن كلّ الناس يتحدثون الجمل نفسها في المواقف المتشابهة، ومعنى ذلك أنّ أحداً منهم لا يستطيع أن يركّب جملة جديدة، ولتوقّعنا أن الطفل سيتحدث كوالديه تماماً، ولن يستطيع إلا أن يردد الجمل التي يسمعها، ولكان بالتالي كالببغاء تماماً[8].

ومما يُعزّز هذا الرأي الذي تبنّته المدرسة التحويليّة في اكتساب الطفل للغة، أنّ هذا الطفل تتكون لديه القدرة على الخلق، أي القدرة على تركيب الجمل المختلفة التي يريدها في الوقت والظرف المناسبين[9]، ولو لم يكن الأمر كذلك، فكيف لنا أن نفسّر استخدام الطفل لبعض الصيغ القياسيّة التي لم يسمعها من قبل، وتركه للصيغة السماعيّة التي تتردد على سمعه، فنجده يؤنّث (أحمر) على (أحمرة) في حين أنه كان يسمعها (حمراء)[10].

3.1 الكفاية (Competence) والأداء (Performance):

يرى (تشومسكي) أنّ النظريّة اللغويّة مبدئياً تخصُّ المتكلم والسامع (speaker-hearer) المثالي المنتمي إلى جماعة بشريّة ذات تماثل كلاميّ تام، العارف للغة تلك الجماعة معرفة تامة[11]، وقد أطلق (تشومسكي) على معرفة المتكلم -السامع بلغته مصطلح الـ(competence) أو الكفاية، وافترض أن هذا المتكلم- السامع لا يكون متأثراً بحدود لا صلة لها بالقواعد كالذاكرة المحدودة، أو تحوّل الانتباه، أو عدم المتابعة، أو الأخطاء الكلاميّة (العشوائيّة أو المتواترة) حين يطبق معرفته اللغويّة في مجال الأداء الفعلي، إذ أطلق ((تشومسكي)) على استعمال اللغة في مواقف حقيقية مصطلح الـ(performance) أو الأداء[12].

ولا بدّ أن نشير هنا إلى أن (تشومسكي) قد أخذ بتقسيم (دي سوسير) للغة إلى: لغة وكلام، وأطلق على الظاهرة الأولى تعبير الـ(competence)، وعلى الثانية تعبير الـ(performance)[13]، فالكلام عملٌ واللغة حدودُ هذا العمل، والكلام سلوكٌ، واللغة معايير هذا السلوك، والكلام نشاطٌ، واللغة قواعد هذا النشاط، والكلام حركة، واللغة نظام هذه الحركة، والكلامُ يُحَسُّ بالسمع نطقاً، وبالبصر كتابةً، واللغة تُفهم بالتأمّل في الكلام، فالذي نقوله أو نكتبُه كلامٌ، والذي نحسُّ به هو اللغة، فالكلام قد يحدث أن يكون عملاً فردياً، ولكنّ اللغة لا تكون إلاّ اجتماعيّة[14].

ونشير هنا إلى أنّ الكفاية أمرٌ ينطبعُ عليه الإنسان منذ نعومة أظفاره، وخلال مرحلة اكتسابه للغة، وتكون مرتبطة بقواعد اللغة[15]، تلك القواعد التي تقود عملية التكلّم، فالكفاية ملكة ذاتيّة خاصة بمتكلّم اللغة الذي ترعرع بصورة طبيعيّة في البيئة التي تتكلّمها[16].

ولا تكون الكفاية في امتلاك المتكلّم-السامع القدرة على إنتاج عدد هائل من الجمل من عدد محدود جداً من الفونيمات الصوتيّة فحسب، بل تتضمن كذلك القدرة على الحكم بصحة الجمل التي يسمعها من وجهة نظرٍ نحويّة تركيبيّة، ثم القدرة على الربط بين الأصوات المنتَجة، وتجميعها في مورفيماتٍ تنتظم في جمل، ثم ربطها بمعنى لغوي

محدّد، وذلك كلّه يتم بعملياتٍ ذهنيّة داخليّة يتم التنسيق بينها بما يسمى (قواعد إنتاج اللغة)[17].

4.1 القواعد التحويليّة (Transformational Rules):

اتّضح فيما سبق أن عمليّة اكتساب اللغة لا تتم بالتقليد والمحاكاة -كما يرى السلوكيون- واتّضح أيضاً أن الطفل لا يولد صفحةً بيضاء من حيث طرفا العملية العقلانية وهما: الكفاية والأداء، بل هي فطرةٌ ذهنيّة تولد معه، وكلما اكتسب الإنسان ما يملأ به هذه الكليّات الفطريّة ازداد النمو الداخلي التنظيمي للقواعد الكليّة في ذهنه، في جزئيّة منها، وهي تلك المسؤولة عن بناء الجمل وتركيبها مضبوطة بقواعد وقوانين تسمى (القواعد التحويلية).

والقواعد التحويلية عند (تشومسكي) نظام من القوانين التي تُعطي بشكل واضح ومحدد أوصافاً بنيويّة، ومن الواضح أنّ آراء المتكلّم أو كلامه عن سلوكه وقابليته قد تكون خطأ، وهكذا فإنّ القواعد التوليديّة تحاول تعيين ما يعرفه المتكلم وليس ما يقوله من معرفته تلك، وإنّ هذه القواعد تحاول أن تصف بأكثر الطرق حياديّة المعرفة اللغوية التي تكون الأساس للاستخدام الفعلي للغة من قبل المتكلم-السامع.

يرى (تشومسكي) أنّ نظام القواعد التحويلية ينقسم إلى ثلاثة مكونات رئيسة[18]:

أ. **المكونات النحويّة:** وهي التي تُعنى بتحديد مجموعةٍ لا متناهية من العناصر الصوغيّة المجرّدة، تتضمن كلٌّ منها المعلومات ذات الصلة بتأويل واحدٍ لجملةٍ معينة، وبعبارة أخرى فإنّ المكون النحوي هو الذي يهيئ المعلومات التي تخصُّ عناصر التركيب، وعلاقاتها فيما بينها ضمن الجملة.

ب. **المكون الفنولوجي:** وهذا المكون يقوم بتحديد الصفة الصوتيّة لجملة مولَّدة بواسطة القوانين النحويّة، وبمعنى آخر فإنّه يعمل على الوصل بين تركيبٍ ولّده المكون النحوي بإشارة لها تمثيل، أو صورة صوتيّة.

ج. **المكون الدلالي:** وهو الذي يحدد التأويل الدلالي لجملة معينة، وبمعنى آخر فهو يصل تركيباً ولَّده المكوّن النّحوي بتمثيلٍ أو صورة دلاليّة معينة.

تستطيع هذه القواعد التحويليّة أن تقدم تفسيراً مقنعاً لقدرة المرء على أن ينتج ويفهم عدداً لا نهائياً من الجمل الجديدة، وتفسّر كذلك كيف يستطيع المرء أن يحكم أنّ جملتين متشابهتين في التركيب الظاهري غير متوازيتين في العلاقة المعنويّة، وكيف للمرء أن يفهم الجملة فهماً كاملاً رغم حذف أجزاءٍ منها، وتفسّر هذه القواعد بوضوحٍ كيف ولماذا يحدث أن جملة واحدة لها معنيان، وأخيراً تستطيع أن تفسّر كيف يستطيع المرءُ أن يميّز بين الجمل الصحيحة والجمل غير الصحيحة نحوياً، رغم أن هذه الجمل تتخذُ أشكالاً لا حصر لها[19].

ولذلك، فالقواعد التحويليّة قواعد تساعد الجملة على الانتقال من بنيتها الأوليّة (العميقة) إلى بنيتها النهائيّة (السطحيّة)، وبواسطة هذه التحويلات يمكننا الحصول على عددٍ غير محدد من البنى اللغويّة البسيطة، من عددٍ محددٍ من البنى العميقة، وهو أمرٌ موجودٌ في اللغات جميعها، إذ إنّ هذه القواعد كليّة شموليّة عالميّة، متساوية عند بني البشر جميعاً[20].

5.1 البنية العميقة (deep structure) البنية السطحيّة (surface structure)

يتّفق أنصار هذه المدرسة مع القدماء في تعريف الجملة، وهي الحد الأدنى من الكلمات التي تحملُ معنىً يحسنُ السكوت عليه، وتسمّى الجملة التوليديّة[21].

أما مفهوم البنية العميقة فهو الأساس الذهني المجرّد لمعنىً معيّن، يوجد في الذهن، ويرتبط بتركيب جمليّ أصولي، يكون هذا التركيب رمزاً لذلك المعنى وتجسيداً له، وهي (النواة) التي لا بدّ منها لفهم الجملة ولتحديد معناها الدلالي[22]، فهي الجملة المنتجة المُولّدة للجملة التحويليّة[23].

أما البنية السطحيّة فهي تلك التي يتم تجسيدها بكلماتٍ متتابعة منطوقة متآلفة معبرةٍ عن العلاقة بين هذه الكلمات[24]، وهي في عبارةٍ مجملةٍ جهة الوصف التي تحدد الصيغة الصوتيّة للجملة[25].

وفي سبيل تجلية الفرق بين البنية السطحيّة والبنية العميقة نعرض المثال الآتي: (يشرح المعلم الدرس بطبشورةٍ يكتب بها على السبورة)، فهذه الجملة المنطوقة تتكون في الأصل من ثلاث جملٍ أصولية (نواة) تجسّد كل واحدةٍ منها معنىً عقلياً في ذهن المتكلم، وهذه الجمل: (يشرح المعلم الدرس)، و(يكتب المعلم على السبّورة)، و(يكتب المعلم بالطبشورة)، إذ تمثّل الجمل الثلاث في مجموعها علاقة بين نقاطٍ رئيسيّة هي: (المعلم، الدرس، السبورة، الطبشورة)، وهذه هي (البنية العميقة)، وتآلف الجمل الثلاث لتكوين جملة تحويليّة معبّرة عن العلاقة بين الكلمات السابقة يُمثّل (البنية السطحيّة)[26].

يرى (تشومسكي) أنّ هناك جهازاً يضمُّ عدداً من الرموز والكلمات التي ترتبط بمعجمٍ دلالي، وتتضامُّ في جملٍ مفيدة خاضعةٍ لقواعد وقوانين كلية عالميّة، وتتحرك هذه الرموز والكلمات في تلك الأطر القواعديّة بعملياتٍ ذهنيّة داخليّة؛ لتنتج عدداً لا حصر له من الجمل، التي تعبّر عن ترابط المعاني في الذهن (البنية العميقة)، ثم تتحدّ لتصدر منطوقة مكونة بذلك جملة تحويليّة (البنية السطحيّة) تخرج طبقاً لقواعد التحويل[27].

وتجدرُ الإشارة هنا إلى أنّ من أهم الأسس التي تقوم عليها نظرية (تشومسكي) أنّ الجملة لا تعادل مع عناصر التحويل في معناها الجملة بدون هذه العناصر، أي بمعنى أنّ البنية السطحيّة يُراد منها أن تُعبّر عن معنىً آخر، يختلف عن ذلك المعنى الذي تحتفظ به البنية العميقة.

ولمزيد من التوضيح، فإننا نقول: إن الجمل الثلاث التي عُدَّت وفقاً للنظرية التوليدية التحويلية بنى عميقة صدرت عنها الجملة النهائية في صورتها المادية المنطوقة، ومن أجل أن تصدر هذه الجملة، فإن التصور الذهني لها مكون من هذه الجمل الثلاث، وقبل أن تصبح واقعاً مادياً منطوقاً فعلاً فإنها تمرُّ بالقوانين التحويلية Transformational

rules، التي تتدخل في إجراء بعض التعديلات القواعدية التي تحولها إلى بنية سطحية مستعملة.

6.1 عناصر التحويل (Transformations):

نستطيع أن نعرّف عملية التحويل بأنّها: التغيرات التي يُدخلها المتكلم والمستمع على البنيات العميقة المولّدة من أصل المعنى، فينقلها إلى بنياتٍ ظاهرةٍ على سطح الكلام[28]، ويتبدّى التحويل السطحي في رأي بعض الباحثين[29] في أربعة أقسامٍ: التحويل بالترتيب، والتحويل بالزيادة، والتحويل بالحذف، والتحويل بالاستبدال، ونجد باحثين آخرين يضيفون إليها عناصر النبر، والتنغيم، والحركة الإعرابيّة، وبذلك تصبح عناصر التحويل كالآتي [30]: الترتيب، والزيادة، والحذف، والحركة الإعرابيّة، والنبر، والتنغيم، والاستبدال، وفيما يأتي نستعرض هذه العناصر بشيءٍ من التفصيل:

أ. **الترتيب:** وهو نقل كلمة من موقع أصلٍ لها، إلى موقعٍ جديدٍ مغيّراً بذلك نمط الجملة، وناقلاً معناها إلى معنى جديد تربطه بالمعنى الأول رابطة واضحة[31]، فنقول: خرج القاضي من المحكمة مسرعاً، أو مسرعاً خرج القاضي من المحكمة.

ب. **الزيادة:** ما يُضاف إلى الجملة النواة من كلمات يعبّر عنها النّحاة بالفضلات، أو التتمات، أو غير ذلك، ويعبّر عنها البلاغيون بالقيد، يُضاف إلى الجملة الأصل لتحقيق زيادة في المعنى[32]، فنقول مثلاً: (محمدٌ رسولٌ)، وإذا أردنا أن نؤكد الخبر فنقول: (إنّ محمداً رسولٌ)، وإذا قصدنا زيادةً في التأكيد قلنا: (إنّ محمداً لرسولٌ)، وتكون الزيادة في أول الجملة، أو في وسطها، أو في آخرها.

ج. **الحذف:** في هذا النوع من التحويل يتم حذفُ أحد عناصر الجملة لغرضٍ من الأغراض الدلاليّة من غير أن يترك ذلك الحذف أي خلل في الجملة، فنقول مثلاً: (كسر محمدٌ الزجاج)، وبتحويلها إلى صيغة البناء للمجهول يُحذف الفاعل وتصبح الجملة (كُسِرَ الزجاجُ).

د. **النبر والتنغيم:** وهذان عنصران صوتيان لا علاقة لهما بالنحو، تأثيرهما التحويلي صوتي لا نحويّ، ويتم بالضغط على بعض الحروف أو على بعض الكلمات لإظهارها على بقية كلمات الجملة، ولا يكون التنغيم في الجمل إلا لمعنى يريده المتكلم[33]، وهو مما يُحمل من قبل (تشومسكي) على الفنولوجيا التطريزية، والبروسودية prosodic phonology.

هـ. **الإحلال (الاستبدال):** كأن تجعل ضميراً محل اسم ظاهرٍ نحو قولك: (قرأت المجلة) فإذا قدمت الجملة قلت (المجلةَ قرأتُها)، فيكون الضمير المتصل (ها) محل الاسم الظاهر المقدم.

و. **الحركة الإعرابيّة:** وتكون ذات قيمة دلاليّة كبيرة، وبها يتم تحويل الجملة التوليديّة من أصلٍ افتراضي كانت عليه للإخبار وحركته حركة الرفع، إلى جملة تحويليّة ذات معنى آخر، وهذا يكون في جملة التحذير، والإغراء، والاختصاص، وبعض الأنماط الانفعالية الإفصاحية، فإذا قال المتكلم: (الأسدُ) بالضمة فإنّ السامع يدرك أن المتكلم أراد الإخبار، ولكنه إذا قال: (الأسدَ) بالفتحة، فإنّ المعنى يتغيّر إلى التحذير وهكذا..

إنّ ما نودُّ أن نؤكده هنا أنّ عناصر التحويل السابقة تؤدي معنىً جديداً في الجملة التحويليّة، لم يكن ليتأتّى لولا هذه التغييرات التي طرأت على جملة الأصل، وبالتالي فإنّ المعنى الجديد غيرُ متحصّل في الجملة التوليديّة (البنية العميقة).

ونشير هنا إلى قضيّةٍ أساسيّة في نظرية (تشومسكي) وهي ضرورة أن تكون الجملة التحويليّة (البنية السطحيّة) موافقةً للأصول اللغويّة (جملة أصولية)[34]، ونقصد بذلك أن يكون للجملة بعد التحويل نظيرٌ فيما نطق به ابن اللغة، فلو قال القائل: (محمدٌ بلّغ الرسالة) أو (بلّغ الرسالة محمد) أو (الرسالةَ محمدٌ بلّغَ)، فإنّ لكلٍّ معناها العميق الذي في نفس المتكلّم ويفهمهُ السامع، أما قوله (محمدٌ الرسالة بلغ) فلا تُعدُّ جملةً؛ لأنّها لا تحقق القياس اللغوي فتردُّ؛ لأنّه لم يرد في لسان العرب نظيرٌ لها[35].

وفي هذا السياق فإنّ (تشومسكي) يرى أنّه يمكن تشخيص مفهوم (القواعديّة) بأنّه كل ما له معنى، أو كلّ ما هو ذو مغزى وفق أي مفهومٍ دلالي، فالجملتان (الأفكار الخضراء التي لا لون لها تنام بشدّة) و(بشدّة تنام الخضراء التي لا لون لها الأفكار)، فإنّ

كلتا الجملتين لا معنى لهما، ولكنّ ابن اللغة يعرف أن الجملة الأولى فقط هي القواعديّة [36].

ويبرز في أثناء الحديث عن سلامة الجمل فرضيّة أخرى في النظريّة التحويليّة التوليديّة ألا وهي (حدس المتكلم)، ويمكن أن نعبّر عن هذا المفهوم بمقدرة المتكلّم على أن يُدلي بمعلومات حول مجموعةٍ من الكلمات المتتابعة من حيث هي تؤلف جملة صحيحة في اللغة، أو جملة منحرفة عن قواعد اللغة[37]، هذا إذا علمنا أنّ القواعد التحويليّة تقبل وجهة النظر القائلة بأنّ النظريّة اللغوية يجب أن تختصّ بشكلٍ رئيسيٍّ بمتكلم ومستمعٍ نموذجين، في مجتمعٍ لغويٍّ كامل التجانس، كامل المعرفة بلغته، وغير متأثّر بظروفٍ لا علاقة لها بالقواعد اللغويّة ذاتها، مثل: محدودية الذاكرة، وتشتت الانتباه، وعثرات اللسان، والأخطاء الناجمة عن الجهل بأصول اللغة[38].

اتّضحَ أنّ الجملة النّحويّة تنتظم كلماتها طبقاً لقواعد اللغة، ولكنها قد تكون بلا معنى، كما في عبارة (قعطُ الدّشاغُ الداشحَ)[39]، والأمرُ من حيث دلالة الجملة لا يقف عند هذا الحدّ، إذ إنّ هُناك كثيراً من الجمل التي تحتمل معنيين مختلفين ولا يميّز الشكل الخارجي بينهما، فالجملة التالية مثلاً (كان عقابُ علي صارماً)، غير واضحة خارج السيّاق، فلسنا ندري إن كان عليٌّ هو الذي عاقب إنساناً آخر، أم أنّ إنساناً آخر هو الذي عاقب علياً؟ لقد دعت هذه الجملة وأمثالها (تشومسكي) لأن يقول بأنّ لكل جملة مبنى (ظاهريا)، وهو الذي يُقابل فعلاً مبنى باطنياً (عميقاً) هو الذي تكون العلاقات المعنويّة فيه واضحةً تماماً[40].

7.1 طرق تحليل الجمل في النظرية التوليديّة التحويليّة

يتفق علماء اللغة المعاصرون مع علماء اللغة القدامى في تعريفهم للجملة بأنّها الكلام الذي يحسنُ السكوت عليه وكان مستقيماً[41]، واتفقوا على تقسيم الجملة إلى جملة اسميّة وفعليّة، ولكنهم اختلفوا في تحديد طبيعة الجملة الاسمية والفعليّة، فالجملة الاسمية عند النُّحاة الأوائل هي التي صدرها اسم، كزيدٌ قائم، وهيهات العقيق، وقائم

الزيدان عند من جوّزه وهو الأخفش والكوفيون، والفعليّة هي التي صدرها فعلٌ، ك (قام زيدٌ)، وضُربَ اللص، وكان زيدٌ قائماً، وظننته قائماً، ويقوم زيدٌ، وقم[42].

إلا أننا وجدنا من اللغويين المعاصرين من لا يرون ذلك الرأي، بل يرون أنّ هذا التحديد ساذجٌ يقومُ على أساسٍ من التفريق اللفظي المحض[43]، فالجملة الفعليّة عند بعض المعاصرين هي التي يكون فيها المسندُ فعلاً[44]، فالفاعل هو الفاعل تقدّم أو تأخّر، وما التغيير إلا لغرض يريده المتكلم[45]، أمّا الجملة الاسمية فهي التي يكون فيها المسند اسماً[46].

وعلى الرّغم من هذا الاختلاف، إلاّ أنّنا وجدنا القاسم المشترك الذي يجمع ما بين الرأيين، أنّ المسندَ هو المسندُ، وأنّ المسندَ إليه هو المسندُ إليه في الحالتين، سواءٌ تقدّم أحدهما على الآخر أم تأخّر عنه، وسواءٌ أكان فاعلاً مقدماً لغرضٍ أراده المتكلم -كما يرى بعض المحدثين- أم مبتدأ كما يرى القُدماء.

والذي نرتضيه، ونطمئنُّ إليه، أن نعتمد الإسناد في تحليلنا للجمل، بأن نحدّد المسندَ والمسند إليه، وما زادَ عليهما فهو فضلةٌ أو تتمةٌ أو قيد، كما يسميه أهل البلاغة، وبذلك نكون قد خرجنا من دائرة الاختلاف إلى نطاق الاتفاق.

لذلك، فإنه ينبغي في أثناء تحليل للعبارات توضيح العلاقات الإسناديّة بين الفعل والفاعل، وبين المبتدأ والخبر، وتحديد العلاقات الأخرى كالفاعليّة والمفعوليّة والحالية والظرفيّة والسببيّة، وتبيين التلازم بين الفعل والفاعل، أو بين المضاف والمضاف إليه، أو بين الجار والمجرور، أو بين النعت والمنعوت، وأخيراً بين الصلة والموصول.

مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ الاختلاف في تحديد الجملة المتحوَّل عنها (البنية العميقة) أمرٌ لا ترفضه النظرية اللسانيّة الحديثة، بل تراهُ مُسوّغاً مقبولاً ما دام المفسّر يشرحُ كيف انتقلت الجملة من تركيب البنية العميقة إلى البنية السطحيّة، فلو نظرنا مثلاً في عبارة (تفقّأ زيدٌ شحماً)، فإنّنا نجد بعضهم يرى أنّ بنيتها العميقة (تفقّأ شحمُ زيدٍ)، بينما يرى آخرون أنّ بنيتها العميقة (تفقّأ زيدٌ من الشحم)[47].

الخلاصة

خلص البحث إلى النتائج الآتية:

- النظرية التوليدية التحويلية نظرت إلى اللغة على أنها ظاهرة عقلانية، فجعلت الجانب العقلاني هو الأساس لدراسة اللغة، فتكون بذلك قد خالفت المدرسة التركيبية التي وصفت اللغة بأنها ظاهرة سلوكية.
- ترى المدرسة التوليدية التحويلية أن الفطرة اللغوية أمر ينطبع عليه الإنسان من نعومة أظفاره، فالطفل تكون لديه القدرة على تركيب الجمل المختلفة التي لم يكن سمعها من قبل، وليس الأمر تقليديا ميكانيكيا لما سمعه.
- أطلق (تشومسكي) على معرفة المتكلم بلغته معرفة تامة مصطلح (الكفاية)، وجعل التطبيق الفعلي لهذه المعرفة في مواقف حقيقية تحت مفهوم (الأداء).
- لكل جملة من - وجهة نظر هذه المدرسة- بنيتان: بنية عميقة تمثّل الأساس الذهني المجرّد لمعنىً معيّن، يوجد في الذهن، وبنية سطحيّة هي التي يتم تجسيدها بكلماتٍ متتابعة منطوقة متآلفة معبرةٍ عن العلاقة بين هذه الكلمات.
- هناك عدد من العناصر التي تسهم في نقل الجملة من بنيتها العميقة إلى البنية السطحية، وتتمثّل في: الحذف، والزيادة، والترتيب، والتنغيم، والحركة الإعرابية، والاستبدال.
- إنّ من أهم الأسس التي تقوم عليها نظرية (تشومسكي) أنّ الجملة لا تعادل مع عناصر التحويل في معناها الجملة بدون هذه العناصر، أي بمعنى أنّ البنية السطحيّة يُراد منها أن تُعبّر عن معنىً آخر، يختلف عن ذلك المعنى الذي تحتفظ به البنية العميقة.

الهوامش

(1) خليل عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، عالم المعرفة للنشر، السعوديّة، ط1، 1984م، ص54، 55.

(2) يحيى عبابنة، علم اللغة المعاصر، دار الكتاب الثقافي، الأردن، إربد، (د.ط)، 2008م، ص56.

(3) عبابنة، علم اللغة المعاصر، ص56.

(4) عبابنة، علم اللغة المعاصر، ص56.

([5]) نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغويّة المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د.ط)، 1978م، ص92.

([6]) عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص55.

([7]) عبابنة، علم اللغة المعاصر، ص59.

([8]) عبابنة، علم اللغة المعاصر ، ص60.

([9]) خرما، أضواء على الدراسات اللغويّة المعاصرة، ص96.

([10]) عبابنة، علم اللغة المعاصر، ص61.

([11]) نعوم (تشومسكي)، جوانب من نظرية النحو، ترجمة مرتضى باقر، وزارة التربية والتعليم العالي والبحث العلمي، جامعة البصرة، (د.ط)، (د.ت)، ص27.

([12]) تشومسكي، جوانب من نظرية النحو ، ص28.

([13]) خرما، أضواء على الدراسات اللغوية، ص93.

([14]) تمّام حسان، اللغة العربيّة معناها ومبناها، عالم الكتب، ط5، 2006م، ص32.

([15]) ميشال زكريا، الألسنيّة التوليديّة والتحويليّة وقواعد اللغة العربيّة (النظريّة الألسنيّة)، المؤسسة الجامعيّة للدراسات، بيروت، ط2، 1986م، ص32.

([16]) ميشال زكريا، الألسنيّة التوليديّة والتحويليّة وقواعد اللغة العربيّة (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعيّة للدراسات، بيروت، ط2، 1986م، ص7.

([17]) عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص57.

([18]) تشومسكي، جوانب من نظرية النحو ، ص39.

([19]) محمد علي الخولي، قواعد تحويليّة للغة العربيّة، دار المريخ، السعودية، الرياض، ط1، 1981م، ص25-27.

([20]) عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص56.

([21]) عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص87.

([22]) محمد حماسة عبداللطيف، من الأنماط التحويليّة في النحو العربي، دار غريب للنشر، مصر، (د.ط)، 2006م، ص14.

([23]) نعوم تشومسكي، البِنى النّحويّة، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافيّة، بغداد، ط1، 1987، ص115.

([24]) عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص59.

([25]) عبد اللطيف، من الأنماط التحويليّة، ص14.

([26]) عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص58-59.

([27]) عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها ، ص60.

([28]) محمد الصغير بناني، المدارس اللسانيّة في التراث العربي، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، (د.ط)، 1985م، ص81.

([29]) رابح بو معزة، التحويل في النحو العربي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2008م، ص54.

([30]) خليل عمايرة، في التحليل اللغوي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط1، 1987م، ص44.

([31]) عمايرة، في نحو اللغة، ص93.

([32]) عمايرة، في نحو اللغة، ص96.

([33]) أحمد كاظم العتابي، رؤية في المنهج التوليدي، بحث منشور في مجلة كلية التربية، العدد6، جامعة واسط، ص47.

([34]) زكريا، الألسنيّة التوليديّة (الجملة البسيطة)، ص9.

([35]) عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص181.

([36]) (تشومسكي)، البنى النحويّة، ص19.

([37]) زكريا، الألسنيّة التوليديّة (الجملة البسيطة)، ص9.

([38]) الخولي، قواعد تحويليّة للغة العربيّة، ص25.

([39]) عبابنة، علم اللغة المعاصر، ص29.

([40]) خرما، أضواء على الدراسات اللغويّة المعاصرة، ص95.

([41]) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (180ه)، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، ص1988م، 88/2.

([42]) ابن هشام، أبو محمد جمال الدين (761ه)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط6، 1985م، ص492.

([43]) مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1986م، ص39.

([44]) المخزومي، في النحو العربي ، ص41.

([45]) عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص94.

([46]) المخزومي، في النحو العربي، ص42.

([47])حسن خميس الملخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين النحاة القدماء والمحدثين، دار الشروق، عمان، 2000م، ص126.